

كتوبيا
للنشر والتوزيع
حارس
مكتبة بيت الحصريات
www.maktbbah.blogspot.com
البعث
ميسره الدندراوي

(٥)

أبو صير - الجيزة.

بعد منتصف الليل..

العاشر من ديسمبر عام ألفين وخمسة وثلاثين.

شق أول لسان برق عملاق ظلامَ السماء، وبدا كأنه فلاش كاميرا عملاقة تصور لقطة فوتوغرافية خاصة تحمل عنوانًا بارزًا.

الأطلال.

ثم تبعه لسان البرق الثاني.

وللحظات أنارت أضواء السماء أطلال مبنى بُني من أحجار ضخمة، اكتشف حديثًا بين الأهرامات القصيرة التي أوشكت الرمال أن تغطي قممها البالية.

ثم ضربت أول صاعقة القضيب المعدني فوق هرم ماحو رع..

وانتفض جسد الحارس المسكين أحمد بدران، فكاد يسقط من فوق مقعده الخشبي.

- بسم الله الرحمن الرحيم.. استر يا رب.

ثم راح يحوقل ويقرأ المعوذتين بشفتين ترتجفان من أثر البرد، وأحكم لفَّ الكوفية الصوفية السوداء حول رقبته..

للمرة الأولى منذ ثلاث سنوات، يقبل وردية حراسة ليلية في موقع

الآثار المكتشف حديثًا، والذي تحرسه شركة الأمن الخاص التي يعمل بها..

- منك لله يا مرشدي.. يعني حبكت مراتك تولد في الليلة الغبرة دي..

ثم فرك كفيه طالبًا مزيدًا من الدفء، ورفع جسده النحيف الممشوق من فوق المقعد، واتجه بخطوات متثاقلة إلى الطاولة الصغيرة داخل الكشك المبني من أحجار أسمنتية، وراح يعد كوب شاي ساخنًا..

كوب سيبقيه ساهرًا لساعات معدودة، حتى يلعب النوم بعقله وجسده المرهقين، فيسلم جسده للمقعد الخشبي، وتسقط رأسه على صدره ليغط في نوم عميق، حتى يوقظه منه حارس الوردية الصباحية..

لسان برق جديد، ثم تبعه صوت اصطدام العمالقة السماوية المعبأة بالمياه..

وانهمرت الأمطار..

راح ينظر للأمطار عبر زجاج النافذة، وهو يرى شبحًا لوجهه الأسمر بينما عيناه تراقبان الأمطار المنهمرة فوق تلك الأطلال..

الأطلال التي يسمونها، بيت أوزير.

سمع يومًا ذلك الرجل القصير النشيط، وهو يتراقص بين كتل

الأحجار ويصرخ بصوت خشن لا يناسب جسده الضئيل.

- يالا يا رجالة.. عايزين نزيح التراب من هنا بأسرع وقت قبل ما الليل يليل علينا.

فيجيبه صوت حريمي رفيع من مكان ما.

- أنت متأكد يا دكتور رجب إن دي أطلال قصر الحكم فعلًا؟

فيقف واضعًا كفيه في وسطه وهو يراقب الأحجار الضخمة متابعًا:

- الكتابة على الحجر واضحة يا مريم.. هنا جلس أوزير على عرش كيمت.. وهنا قام العدل.. يبقى أكيد دي أطلال قصر حكم كيمت.. يعني أطلال القصر اللي حكم منه أوزير كيمت من أكتر من اتناشر ألف سنة.

أفاق بدران من خواطره على صوت صاعقة جديدة ضربت الأرض على بعد أمتار من كشك الحراسة، فراح يقلب الشاي مسرعًا وهو يغمغم:

- عديها على خير يا رب.

هو لا يعرف أوزير ولا كيمت، ولا يهتم كثيرًا بالأحجار والأطلال.

هو يهتم فقط بالجنيهات التي تمنحها إياه هذه الوظيفة، والتي تضيع على علاج أمه العجوز وتقيم أود اختين أوشكتا أن تصلا إلى آخر العشرينات، وهما بلا أزواج ولا مستقبل..

مثله تمامًا..

لسان برق جديد يضيء السماء..

لكنه في هذه المرة لم يعد إلى مكانه فوق المقعد..

خيل إليه أنه رأى خيالًا يتحرك بين الأطلال..

فرك عينه بيده اليسرى، ثم جرع جرعة عملاقة من كوب الشاي الساخن..

الأمطار تضرب السقف فوق رأسه، ولسان برق جديد ينير سكون الليل..

في هذه المرة لم يكن محتاجًا لفرك عينيه..

فعلى الجانب الآخر من النافذة، رأى في التماعة البرق وجهًا نسائيًا حادًا، شفتيه ابتسامة شيطانية عابثة..

تراجع إلى الخلف وأجفل، فسقط كوب الشاي من يده اليمنى، ليتحطم الكوب ويتناثر الشاي الساخن فوق ثيابه..

راح يبسمل ويحوقل وهو يرتجف في رعب..

لم يكن ما رآه خيالًا قط، فهو ليس ابنَ مدينة رقيقًا ممن تصيبهم الخيالات في الظلام والأمطار..

لقد رأى ما رآه فعلًا..

مد يده أسفل المقعد، وأخرج الصاعق الكهربائي الصغير وأحكم

رباط الكوفية على رقبته، وقد انتوى أن ينهي ذلك الآن..

سيخرج لتلك المرأة الآن..

فإذا كانت بشرًا، فسترحل الآن أو سيصعقها بصاعقة بقوة ٢٢٠ فولت ويقيدها في هذا الكشك حتى الصباح..

وإذا لم تكن بشرًا، فسيعود إلى الكشك مباشرة،ويحكم غلق الباب عليه، ويقرأ آية الكرسي خمسين مرة على الأقل، حتى يأتي الفجر..

هو صعب المراس، متين البنيان، تربى على كسر أعواد القصب بيده الحرة..

لا يخشى شيئًا من لحم ودم، ولا يخشى شيئًا يعرفه..

لكن ما لا يعرفه، فلن يقترب منه..

فوق كل ذي علم عليم.

ردد الجملة هامسًا، ولم يعرف إذا كانت مناسبة للموقف أم لا، لكن هذا ما خطر بباله الآن..

فتح باب الكشك، ومر عبره، لتصطدم الأمطارالغزيرة بشعره المجعد وتغشي عينيه الواسعتين..

خطا فوق الأرض الطينية، والكشاف في يده اليسرى، وضوؤه الضعيف يجاهد الظلام، بينما راح هو يجاهد حتى يستدير حول الكشك، إلى موضع النافذة..

وقف معطيًا ظهره للنافذة، وراح ينظر يمنة ويسرة وهو يقلب ضوء الكشاف في الفراغ المظلم..

لسان برق جديد سطع في الظلام، فخيل له أنه رأى جسدًا معلقًا في الفراغ..

جسدًا معلقًا في الفراغ..

تراجع بظهره وهو يبسمل، فاصطدم بجدار الكشك الحجري..

وفجأة سمع الصوت المليء بالفحيح من كل مكان وكأنه يأتيه من داخله.

- ما تحاولش يا بدران.. خلاص.. الأمر نفذ.. والدم سال.

التفت يمينًا ويسارًا في رعب، وهو يقلب ضوءالكشاف، بينما يده تضغط لا شعوريًا فوق زر الصاعق الكهربائي..

- أنتِ مين يا حرمة.. أنتِ مين.. أنتِ إنس ولا جن!

صاعقة عنيفة ضربت الجو، وراح صوت الرعد يدوي حوله..

وعلى الرغم من الدوي الذي كاد يصم الآذان..

سمع الصوت من جديد حوله.

- قولتلك ما تحاولش يا بدران.. الدم سال فوق بيت أوزير.. وجه معاد الحساب.. صرخ بصوت عالٍ وسط هزيم الرعد بصوت دوى في أركان الأطلال.

- حساب ايه يا حرمة أنتِ.. اظهري وباني لو كنتِ إنسية .. ولو كنتِ جنية انصرفي بلا شر.. انصرفي.

دوت الضحكة المليئة بفحيح آلاف الأفاعي حوله..

دوت أمامه وخلفه وفوقه.. عن يمينه وعن يساره..

دوت بلا صمت، بلا توقف، بلا فواصل إعلانية..

ثم توقفت كأنها لم تكن هناك..

وساد الصمت إلا من صوت المطر فوق جسده ورأسه..

وجد نفسه يتقدم في رعب ناحية الأطلال، وكأنَّ قدميه تتحركان بغير إرادة منه، وراح يوجه الكشاف إلى الأطلال الحجرية..

تقدم حتى اصطدمت عيناه بتلك القدمين العاريتين..

وعندما رفع الكشاف إلى أعلى قليلًا، راح يتبين الأبعاد..

جسد عار كما ولدته أمه، علق مفرود الذراعين بحبلين غليظين، يتصلان بعامودين حجريين من الأطلال الغابرة..

وعندما رفع الكشاف قليلًا نحو الرأس والرقبة..

وعلى صدر الجسد العاري، أمفل الرقبة، رأى تلك العلامة المحفورة بشيء أشبه بالوشم الذي دقه في مولد سيدي عبد الرحمن وهو بعد مراهق في مسن الفتوة..

رمز أشبه بحدوة الحصان..

وعندما رفع الكشاف قليلًا، راح يكتشف معالم الوجه..

وعندها، ضرب لسان برق جديد ظلام الليل، ليكشف للحظة ذلك الوجه الذي يعتلي الصدر العاري..

وهنا سقط الصاعق الكهربائي من يده..

وراح يصرخ بلا انقطاع .. يصرخ حتى غلب صراخه هزيم الرعد..

يصرخ حتى كادت روحه تخرج من حلقومه..

ثم سقط جسده كجلمود صخر فوق الأرض الطينية..

وانتهى كل شيء..

* * *

الحلقة الأولى

البعث

1

الطريق الدائري الشرقي - القاهرة.

العاشرة مساء.

الحادي عشر من ديسمبر عام ألفين وخمسة وثلاثين.

- «الأمطار تهطل بغزارة غير مسبوقة منذ عشرة أعوام».

هكذا سمع المقدم كريم لبيب تلك الجملة، المشبعة بكهرباء

إستاتيكية، تخرج من قلب سمّاعة المذياع في سيارته الهيونداي الصغيرة، والأفكار تمضغ خلايا عقله المجهد، وهو في طريقه إلى مصلحة الطبّ الشرعيّ..

خمسة أعوام مرت منذ أن كان قريبًا منه هذا القرب..

خمسة أعوام مرت منذ أن صرخ معترضًا في وجه من كان يعتبرهم فريقه وأصدقاءه، وارتحل من وسطهم كذئب وحيد وهو لا يحمل في ثنايا عقله إلا هدفًا واحدًا..

محمد حارس.

يذكر يوم وقف منتصب القامة، حليق الوجه، وعيناه معلقتان بصورة ضخمة لرئيس الجمهورية، ويجلس تحتها جسد مترهل، شعر رأسه أوشك على الزوال، وعيناه اللامعتان الساخرتان تشتغلان بالتحديق إلى أوراق وهمية، ويده الضخمة الممتلئة تخط خطوطًا غير مفهومة فوق أوراق أخرى..

طريقة توفيق إسماعيل الشهيرة في تمثيل الأهمية..

- ازيك يا سيادة المقدم.. استرح استرح.

قالها بصوته الجَهْوَرِيّ، وبحروفه التي غمس كل حرف منها في مداد سخريته اللاذعة المقيتة.

جلس كريم، وضم ساقيه ناصبًا قامته الطويلة، وضمَّ كفيه لتبرز عضلات كتفيه التي أوشكت أن تنفجر من أثر التمارين الأخيرة،

التي واظب على ممارستها في السنين الخمسة.

- تعالَ يا كريم باشا.. صحيح تشرب قهوة.

- شكرًا يا فندم.. بطلت الشاي والقهوة بقالي شوية.

- ما شاء الله.. أنا شايف برضه إنك ما شاء الله يعني واخد بالك من صحتك وبقيت راجل رياضي أهو.

- يعني بنحاول معاندتك.

أخرج توفيق ميجارة ذات فلتر أجنبي من قلب العلبة، وألقمها جانب فمه الأيمن، ثم قال وهو يشعلها بقداحته الفرنسية:

- أنت عارف.. أنا كنت راجل رياضي زيك كده أيام كلية الشرطة.. كنت حارس مرمى الكلية سنتين على التوالي.. بس أنت عارف الجواز والأسرة وضغط الشغل.

- كان الله في العون يا فندم.

- صحيح يا كريم.. أنت متجوز؟

طريقة توفيق إسماعيل الشهيرة في تحويل مسار أي مناقشة.

إلا أن كريم أجاب باقتضاب:

- لسه الأوان ما جاش يا فندم.

- أوان ايه يا راجل.. ده أنت داخل ع الأربعين.. يعني يا دوب تلحق.

ثم نفث دخان ميجارته في سحابة رمادية عملاقة ارتفعت ببطء

إلى سقف الغرفة.

- بس أنت عارف.. عندك حق برضه.. أصل موضوع محاولة واحدة ده برضه صعب جدًا.

ثم أتبعها بضحكته الباردة المستفزة، ونفث دخان سيجارته وهو يتناول ملفًا منتفخا بالأوراق، وناوله لكريم متابعًا:

- الموضوع اللي في الملف ده يخصك أنت.. صراحة كده يخصك جدًا جدًا.

التفت كريم إلى غلاف الملف، والتقطت عيناه حرفي الميم والحاء، فابتسم في هدوء وهو يربت على الملف المنتفخ.

- كتير أوي الورق ده يا معالي الوزير.. مش حضرتك برضه بتشجع على الحفاظ على البيئة؟

- طبعًا.. أنت عارف سياستي.. البيئة أولًا.

ثم منحه ابتسامته الساخرة المكتومة، فحول كريم نظراته الباردة إلى الملف. الملف الذي يحتوي خلاصة أربعين عامًا من التتبع واقتفاء أثر صاحب الملف.. راح يتصفح أوراقه في عشوائية، ويشم رائحة الورق الحكومي المصفر المشبع برطوبة أرشيف الوزارة القديم.

- ملف عملاق فعلًا.. على الرغم يا فندم إن الموضوع يتلخص في كلمة واحدة.

نظر له توفيق في اهتمام، فوضع كريم الملف فوق الطاولة الصغيرة أمامه، وعقد كفيه، وسرحت عيناه في الحائط الزجاجي، الذي يفصل مكتب توفيق الأنيق عن حجرة الاجتماعات المصغرة.

- أسطورة.. الموضوع كله مجرد أسطورة.

دفن توفيق سيجارته المنتهكة في منفضة سجائره الزجاجية، وقال وهو يطرقع أصابع كفيه:

- أحيانًا بتبقى الأسطورة أهم من الحقيقة يا كريم.. أحيانًا بتكون الأسطورة هي المفتاح الوحيد اللي ممكن تفهم منه الحقيقة.

هرش كريم في سالفه القصير وعلى وجهه أمارات عدم الاقتناع، ثم سأل محاولًا تغيير دفة هذا الحوار:

- آخر ظهور يا فندم؟

- ده سؤال ولا دي معلومة ولا دي ايه؟

ابتسم كريم، وتخيل نفسه مجرد شخصية في رواية مكتوبة، ما أن يتم كلامه حتى يضع علامة الاستفهام في آخره، ثم تابع:

- آخر ظهور كان فين يا فندم؟

- الحسين.. جنب الجامع.

- عجيبة...

ثم عقد كفيه من جديد، ونظر إلى الملف متابعًا:

- والجرايم اللي كان بيسعى وراها.. كلها متعلقة برضه بالأسطورة؟

- عايز نصيحتي يا كريم.

التفت كريم إلى توفيق، وعيناه لا زالتا تسرحان في الفراغ، بينما قال توفيق وهو يشعل سيجارة جديدة:

- ما تدورش في المكان ولا في الجرايم يا حضرة المقدم.. دور ورا الأسطورة نفسها.. الأسطورة يا كريم.

صوت نفير سيارة نقل يأتي من خلفه، فشعر كأنّ شريط الحكاية قد تشابك في بَكَرات مخه، وعاد منه إلى قلب الواقع.. أمطار غزيرة تكسو الطريق الأسفلتي الزلق، وذلك الوغد خلفه مصر على القيادة بسرعة مائة وعشرين كيلومترًا في الساعة، بسيارة حمولتها ثلاثون طنًا!!

النفير يتصاعد من جديد..

صوت هاتفه المحمول يتصاعد من سماعات السيارة، فيضغط أصبعه فوق زر أخضر في عجلة القيادة.

- مساء الخير

صوت عميق كمذيعي الراديو يأتي من السماعات.

- مساء النور.. وبعدين بقى؟

زفر كريم في غضب وصوت النفير يصدح خلفه من جديد..

- وبعدين ايه يا كريم باشا.. أنا لسه بقول مساء الخير

- لا لا.. الكلام مش ليك أنت.. مين حضرتك؟

تنحنح صاحب الصوت وكأنه على وشك إلقاء طقطوقة موسيقية.

- أنا علي الملاح.. خبير أدلة جنائية.. والمكلف بالتعاون معاك في قضية البدرشين.

- يا ابن الكلب يا حيوان.. أنا آسف حقيقي آسف.. دي مش ليك والله.

ضحك صاحب الصوت في وقار:

- لا ما هي أكيد مش ليا.. صوت كلاكس النقل اللي وراك خرم ودني حرفيًا.. المهم.. أنا في انتظار حضرتك في الإدارة.. أنا والدكتورة هناء عبد الجواد.

لف كريم عجلة القيادة ناحية اليسار، وأبطأ من سرعته وهو يتوسط الطريق الزلق أمام سيارة النقل.

- أنا آسف يا سيد علي.. بس أنا طلبت السيد مصطفى الحلواني والدكتورة إيرين شكر الله.. مع شديد احترامي لحضراتكم.

- كان بودي أساعدك يا سيادة المقدم.. بس حضرتك هتتعامل المرة دي مع الملاح.. مفيش حلواني المرة دي.

النفير يتصاعد، وتصحبه أضواء متقطعة ساطعة، وكريم يضحك

متلذذًا:

- طيب يا علي بيه.. أنا هستأذنك بس دلوقتي.. عشان أشوف العريجي ده عايز ايه. وبعد كده هيبقى ليا كلام تاني مع سيادة اللوا.. بعد إذنك.

- بس يا كريم باشا أصل...

ضغط إبهامه الزر الأحمر غير عابئ بالرجل الوقور الذي يحاول إكمال جملته، ثم أبطأ من سرعته، وضغط زرًا آخر في السيارة، فصدحت سارينة الشرطة المزعجة من سماعة صغيرة مثبتة في سقف السيارة، والإنارة الزرقاء تتراقص فوق السقف..

وهنا فقط توقف النفير المزعج وتوقفت الإضاءات الساطعة المزعجة.. وبينما يدير عجلة القيادة إلى اليمين، أخرج كريم ذراعه من نافذة السيارة وهو يشير للسائق..

- يالا يا اخويا.. اركن على جنب يا حبيبي.

وعلى الرغم من غزارة الأمطار وضياع صوت كريم وصياحه في فراغ الهواء المبتل، لكنّ السائق التقط الرسالة وصفّ سيارته إلى جانب الطريق.

وبينما يهبط كريم من سيارته، والأمطار الغزيرة تضرب معطفه المضاد للأمطار همس في غضب.

- يعني ايه مفيش حلواني.. ها.. يعني ايه؟!

(2)

المعادي - القاهرة.

العاشرة والنصف مساء.

الحادي عشر من ديسمبر عام ألفين وخمسة وثلاثين.

يصدح صوت فيروز في جنبات الشقة..

يزيح الأتربة العالقة بالستائر القديمة، ويهز البخورالهندي المتصاعد من عود مشتعل معلق في حلق باب المطبخ، وينشر ضوء الشمس ونسمات الصباح الشتوي في أرجاء حجرة الجلوس..

بينما جلس سيف على مقعده الأثير الذي تضرب الأشعة الصفراء الباهتة ظهره، ممسكًا في يده قلمًا فرنسيًا تكسر غطاؤه، وبهت حبره، يخط به أحرفًا متفرقة فوق صفحة جريدة..

- عشرة رأسي.. فيلم لفريد شوقي.. سبعة حروف آخرهم راء وفاء...

ثم يبتسم وهو يرفع كوب القهوة المشروخ إلىطرف شفتيه، ويسحب بصوت مرتفع تلك الرشفة القصيرة.

- ياه.. القهوة بردت أوي...

ثم ينظر بعينين كسولين إلى باب المطبخ، الواقفمواربًا في نهاية ذلك الممر القصير..

- لا بعيد أوي.. هشربها باردة وخلاص.

ثم يرشف رشفة جديدة، وينظر من جديد إلى المربعات السوداء والبيضاء..

تذكر أنك حملت رواية حارس البعث حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب في خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك.

قهوة باردة، وأيام باردة، وأنفاس باردة كأنفاس الموتى تخرج من صدره، الذي يحتله قلب بارد، كاد أن يتوقف مرتين هذا العام..

وطبيب ذو ابتسامة باردة، يقول في برود:

- لو كنت ناوي تقتل نفسك بالكافيينوالكوليسترول.. استمر.. أحييك.

- والنيكوتين.. نسيت النيكوتين يا دكتور.

ينظر الطبيب بنظرته الباردة إلى وجه المرهق الساخن ثم يخلع نظارته، ويكرر كلماته ذات الحروف الباردة.

- أوعدك لما تيجي المرة الجاية بين الحياة والموت.. هسيبك تموت.. خسارة فيك الكهرباء اللي هننعشك بيها.

- تبقى عملت فيا جميلة.. ووفرت الكهربا.

نظرة غاضبة أخيرًا، تكسر ذلك الجمود والبرود فوق القناع المجعد..

قناع الدكتور منصور عبد الفتاح. عمه..

- يعني عايزني أبقى زيه وأوصل من العمر أرذله عشان أتحول لموميا متحركة.. وأبقى داخل على التمانين وأنا لسه بشتغل وبـــ....

سمع الضحكة الرنانة تدوي في أذنه، فجفل وسقط القلم من يده.

- امسك نفسك يا سيف مش كده.. أنت شفت عفريت.

- وبعدين معاك يا مصطفى.. قولتلك بلاش الدخول الدرامي ده...

- الله.. مش خيالك يا أخي.. يعني لازم أبقى درامي وبحب السامبينس زيك..

- خياله..

صديقه الذي لا يوجد إلا في عقله فقط..

الصديق الذي لم يدركه فأحبه، وعندما أدركه كرهوجوده، ثم تعلم الآن أن يتصالح معه..

تخيل أن لديك زائدة جلدية ممتلئة بالدهن الطري أسفل أذنك، لا فائدة منها لك كرجل إلا أن تشد منها وأنت طفل صغير لكنك تتعلم أن تعتادها ولا تكره وجودها..

فقط تخيل لو أصبحت تتحدث معك بل وتشاركك لعب الشطرنج وحل الكلمات المتقاطعة..

وشرب القهوة الباردة..

ألقى سيف بالجريدة فوق الطاولة.

- وحضرتك بتضحك على ايه؟

- لا ولا حاجة.. أصل موضوع بتشتغل ده ضحكني أوي.

- أنت بتتصنت عليا يا مصطفى؟

ضحكة ساخرة جديدة تهوي على رأسه كدلو ماء بارد.

- آه صحيح.. نسيت إنك عايش جوة دماغي.. سامعني يعني.

- مؤخرًا.. ما بقتش بسمع إلا اللي أنت عايزني أسمعه بس.. أصلك عرفت إني كده كده موجود.. والمعرفة حاجة خطيرة يا صديقي.

صوت جرس الباب..

صوت رنة واحدة، رنة بلا أي توابع..

- طيب اتدارى أنت بقى عشان نشوف مين.

- تاني يا سيف.. ده احنا ما صدقنا إنك اعترفت وفهمت...

- خلاص ما تداراش.. ممكن أقوم افتح الباب بقى.

ثم نهض متثاقلًا، وعبر الممر الصغير نحو باب الشقة الملاصق لباب المطبخ، وتنحنح بصوت مسموع:

- مين؟

لا إجابة..

كرر المحاولة محاولًا تصنع الشدة.

- مين عالباب؟

انعقد حاجباه عندما أجابه الصمت من جديد..

لكن الصوت الذي سمعه، فك انعقاد حاجبيه، واتسعت معه عيناه حتى كادتا أن تغادرا جمجمته..

- افتح يا سيف.

فالصوت الذي أجابه كان آخر صوت توقع أن يسمعه..

* * *

(3)

التجمع الخامس - القاهرة الجديدة.

العاشرة صباحًا.

الثاني عشر من ديسمبر عام ألفين وخمسة وثلاثين.

- يا سيادة اللوا أنا كنت عايز أقول...

- ولا كلمة يا كريم.. ولا كلمة زيادة.

ثم زفر اللواء حسني الفيومي في غضب، وهو يكور ورقة ما فوق مكتبه، ويلقي بها عبر حجرة مكتبه..

اللواء حسني الفيومي، مساعد الوزير العجوز المحنك، الرجل الذي بدا حياته العملية في المباحث الجنائية منذ أن تخرج من الكلية، حتى أصبح أقدم من خدم فيها من ضباط..

أشاح كريم بوجهه ناحية الفاصل الزجاجي، الذي يفصل بين مكتب اللواء، ليصطدم وجهه بوجه النقيب علاء شتا، الذي يعمل معه حديثًا في الإدارة..

نظرات لائمة ارتسمت على وجه علاء، وحركة خفية من يده بمعنى «مشي حالك».

لكن كريم لم يكن سهل المراس أبدًا.

- يا حسني بيه.. ما هو أنا برضه لازم أشتغل مع الناس اللي تريحني وأعرف أشتغل معاهم.. دي تعليمات معالي الوزير.

- جرى ايه يا سي كريم.. أنت بتهددني بمعالي الوزير ولا ايه؟

مش قصدي يا فندم.. بس أصل تعليمات معالي الوزير....

ضربة عنيفة فوق سطح المكتب الخشبي الأنيق قاطعت كلمات كريم وحبستها في حلقه.

بينما اللواء حسني يتابع في غضب هادئ:

- أقسم بشرفي الذي لا أمتلك إلا هو يا كريم يا لبيب.. لو جبت سيرة معالي الوزير تاني على لسانك.. لأكون محولك للاستيداع بنفسي.. وهفضل وراك لحد ما أطلعك من الخدمة.. ولو كانت آخر

حاجة أعملها في حياتي.

ثم عاد بظهره على مقعده الجلدي الضخم، وعقد أصابع كفيه أسفل ذقنه، وسهام عينيه النافذتين تضربان وجه كريم الحليق.

- أنا آسف يا حسني بيه.

- خلاص انتهينا...

ثم أخرج سيجارة محلية الصنع، طولها أطول من ليالي الشتاء، وأشعلها غاضبًا بضربة واحدة من قداحته.

- ودلوقتي يا أستاذ... اتفضل على مكتب العمليات اللي خصصهولك معالي الوزير.. وهتلاقي هناك السيد علي الملاح في انتظارك.. ومعاه الطبيبة الشرعية اللي كُلفت بالقضية.. وعايزك تتعاون معاهم كويس.. لمصلحة القضية يا سيد.

ثم حدجه بنظرة نارية من بين سحب دخان السيجارة متابعًا:

- ولمصلحتك أنت كمان...

نهض كريم واقفًا، وانتصبت قامته وهو يحني رأسه ممتثلًا:

- تمام معاليك.. بعد إذنك.

ثم تجاوز الباب الزجاجي المصنفر ومشى خمس خطوات بالتمام والكمال ناحية الممر المؤدي إلى المكاتب الفرعية الفخمة، والتي بذل توفيق إسماعيل تصميمها بالكامل، لتصبح ذات طابع عصري

شبيه بالشركات متعددة الجنسيات..

- بقت مكاتب بلاستيك.. ووشوش بلاستيك...

همس بها اللواء حسني، ثم أمسك بسماعة هاتف مكتبه، وقال في هدوء:

- الدكتورة وصلت؟. هتوصل بكرة الصبح.. طيب ممتاز.. لا الدكتورة هناء هترجع الإدارة النهاردة.. لا عندها مهام تالية.. مع السلامة.

ثم وضع السماعة، ونفث آخر أنفاس سيجارته، قبل أن يدفنها في المنفضة الحجرية، متابعًا:

- لما نشوف آخرتها معاك يا كريم يا لبيب.. لما نشوف آخرتها.

telegram: @alanbyawardmsr

ثم نهض من خلف مكتبه، وراح يجوب الحجرة ذات الفاصل الزجاجي، فبدا كروميل ليلة اقتحامه بَرقة، ثم توقف عن الحركة فجأة، وارتسمت على وجهه ابتسامة خبيثة، ثم مد يده في جيبه، وأخرج هاتفًا محمولًا صغيرًا، من طراز توقف إنتاجه قبل العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين، وطلب رقمًا يحفظه عن ظهر قلب.

- الو.. ازيك يا سيف.

- حسني باشا.. صباح الخير يا سيادة العميد.

- لوا يا سيف.. بقيت لوا بقالي سنتين.

أتت ضحكة سيف المرحة -على غير عادته- من سماعة الهاتف الصغير.

- مبروك معاليك.. تستاهلها عن جدارة واستحقاق.

- بطل شغل الحلمبوحة ده.

- لا ده رياء عادي يا فندم.. على سبيل ال.. ال...

ثم صمت فجأة وهو لا يزال يبحث عن الكلمات المناسبة، إلا أنه تذكر شيئًا ما، فقال بلهجة ملهوفة:

- حضرتك مش هتصدق اللي حصل امبارح.. ده أنا...

- عارف.. عارف يا سيف.. وده اللي مكلمك علشانه.

- حضرتك عارف مين اللي جه يزورني امبارح.

- أنا اللي باعته يا سيف...

ثم ارتسمت تلك الابتسامة الخبيثة على وجهه، بينما تعالت ضحكات سيف الجذلة، وتخيله اللواء حسني وكأنه يصفق في سعادة كطفل في محل الألعاب.

- ودلوقتي.. أنا محتاج أشوفك.. ضروري يا سيف.

- تنور يا فندم.. العنوان هو هو.. والبن هو هو.. غامق محوج زيادة.

- الله يرحمه اللوا إبراهيم.. خلاص هعدي عليك بكرة بالليل.. مع السلامة.

ثم أغلق الخط، وراح يربت بالهاتف الصغير فوق كفه، وتلك الابتسامة الخبيثة لا تبارح شفتيه العجوزتين.

- كده نعرف نشتغل زي الناس يا توفيق.. كده نشتغل زي الناس.

واتسعت ابتسامته أكثر وأكثر.

* * *

(4)

تمي الأمديد - الدقهلية.

الواحدة صباحًا.

الثالث عشر من ديسمبر عام ألفين وخمسة وثلاثين.

تصاعدت أصوات قرقرة الجوزة، وطرقعة الفحم المشتعل فوق الأحجار الخزفية..

ومعه تصاعدت أصوات ضحكات رمضان وخميس وعامر..

ثلاثة رجال في أواخر ثلاثيناتهم، لا يجمع بينهم سوى الفقر والعوز والبطالة المقنعة..

عامر وخميس يعملان بالأجرة في أراضي غيرهم، يعملان شهرين ويعطلان خمسًا، وخلال الخمسة أشهر يتباريان في إنفاق ما اكتسباه على جلسات المزاج وأحجار الجوزة المغلمة بالحشيش..

بينما رمضان، ذلك الدولاب المتحرك، فهو يبيع عضلاته لمن يدفع

أكتر.. في أغلب المجتمعات يسمونه بلطجيًا، لكنه يفضل أن يمنح نفسه لقب «فتوة».

- أني فتوة ياض منك له.. ومسيري في يوم من الأيام أبقى ولا عاشور الناجي في زمانه.

فيسحب خميس أنفاسًا متلاحقة من الجوزة ويقول بصوت مكتوم:

- مين يا ولا عاشور الن.. الن....

- عاشور الناجي يا طحش.

- اللي أنت بتقول عليه دهون.

يبتسم رمضان ساخرًا، ثم يسحب منه الجوزة ويقول ساخرًا:

- ده بيعمل فيديوهات عالتيك توك.

ثم تتصاعد الضحكات مع سحب الدخان الزرقاء عاليًا..

وخلف جلستهم التي امتدت منذ ساعات الليل الأولى، يسقط ضوء القمر لامعًا فوق مبنى حجري صغير يقف منتصبًا خلفهم..

مبنى أشبه بعلبة حجرية صغيرة، تقف فوق تبة اختلط صخرها برملها..

هم لا يعرفون، وربما تمي الأمديد كلها قد لا تعرف ماذا كان يسمى هذا البناء البسيط..

لكنها تعرف.

تعرف الناموس الحجري..

تلك المتسللة حليقة الرأس، رشيقة القوام، التي تتسلل خلف ذلك البناء الحجري الصغير..

عيناها تلمعان في الظلمة، ووجها المثلث القاسي يحمل ابتسامة اختلطت فيها سخريتها بقسوتها بمكرها..

وقفت المرأة في تلك البقعة التي يرتمي فيها الظل الذي يولده احتكاك نور القمر بالناموس الحجري..

تمامًا خلف الناموس الحجري الصغير.

ثم أغمضت عينيها العسليتين، وعندما فتحتهما كان شكلهما قد تغير وتحول تمامًا.

عينان مشقوقتان، اختلط فيهما اللون العسلي البراق بلون أخضر قاتم.

ثم بدأ الفحيح.

فحيح ألف أفعى متجمعًا في صوت واحد.

وعلى بعد أمتار قليلة، أنهى خميس أنفاس الجوزة، ثم نفث الدخان وهو يسعل حتى كادت روحه تغادر جسده الضئيل، بينما توترت عضلات رمضان النائمة أسفل جلبابه الصوفي.

فرمضان يملك حواس الذئاب وطباعها.

شيء ما داخله يخبره أن هناك صوتًا عجيبًا، وشيء ما يدور خلف ذلك الناموس الحجري المناصب خلفهم.

وهنا ظهرت الأفاعي.

ثلاث أفاع قصيرة في حجم خرطوم الماء الذي يرش به عامر حديقة المأمور في الليالي الصيفية مقابل جنيهات معدودة، لكنها سميكة الجلد مخيفة المنظر.

- ولا يا عامر.. السنجة معاك ياض؟

- أنت عارف يا رمضان ما بتفارجنيش.

- طب ناولهالي من سكات.. وما تفارقش موطرحك.

بينما سعل خميس في عنف، وقال بصوت خمول وحروف متقطعة من أثر الحشيش:

- أنت جرالك ايه ياض يا رمضان؟

- تعابين.. المكان مليان تعابين.

- هو المكان بس.. دي الدنيا كلها مليانة تعابين.

زمجر رمضان غاضبًا، وهو يزحف ببطء على الأرض الترابية كالذئب الذي يزن فريسته.

- بقولك تعابين يا ابن المسطولة.. تعابين.

انتفض خميس، وهب واقفًا وهو يصرخ كفتاةمراهقة رأت فأرًا سمينًا في مطبخ ضيق:

- يا حومتي السودا.. يا سوادك يا خميس.

- ششش.. بطل ولولة ياض أنت واقعد ساكت.

صوت الفحيح يتصاعد، والمرأة الرشيقة تتلوى في الهواء وقد ارتفع جسدها عن الأرض بضعة سنتيمترات، وذراعاها مفرودتان كأنها مصلوبة على صليب وهمي في الفضاء، بينما تلتف حولها خمس أفاعٍ شرسة، تخرج ألسنتها المشقوقة في جشع.

ورمضان يزحف في اتجاه الأفعى على الجانب المقابل.

وفي اللحظة المناسبة التي أوحت له بها حاسته الذئبية، رفع يده بالسنجة الحادة مسنونة الجانبين، وهوى بها على رأس الأفعى، ففصلها عن جسدها..

وبحركة رشيقة لا تناسب جسده العملاق، التف حول نفسه وهوى بالسنجة فوق رأس الأفعى الثانية..

بينما رفع عامر قطعة فحم مشتعلة بماسكة الفحم المعدنية، وراح يحركها في وجه الأفعى الثالثة التي اقتربت منه في محاولات يائسة ألهمها بها عقله المجهد بفعل أنفاس الحشيش..

وخميس لا زال يصرخ كالمراهقات.

والمرأة لا زالت تتلوى في عنف.

وسحابة سوداء مقيتة غطت نور القمر فساد ظلام عميق تلك الأطلال..

وبينما يهوي رمضان على رأس الأفعى الثالثة بالسنجة، كان خميس قد فقد الوعي من كثرة الصراخ.

ومع قطع رأس الأفعى الثالثة، وقف رمضان يلهث في عنف، وجسده العملاق ينز عرقًا باردًا.

- عامر.. قوم شيل الواد العرة ده ويالا بينا.

- أشيل مين.. ما يتحرق.. آني مش قادر أشيل نفسي.

ألقى رمضان بالسنجة تحت قدم عامر ثم رفع خميس فوق كتفه كأنه طفل رضيع، ومشى موليًا ظهره لعامر مغادرًا تلك الأطلال..

بينما صرخ عامر عليه في هلع:

- أنت رايح فين يا رمضان؟

- هنمشي من هني.. المكان ده ما هنعتبوش تاني.

- طب والجوزة والحاجة هنسيبهم.

- عايز تخليك جنبهم أنت حر.. آني مفارق.

وقف عامر وطرف جلبابه معلق في يده اليسرى، ويده اليمنى ترتعش من فرط التوتر أو من فرط المخدر الذي راح يتلاعب برأسه ويؤخر ردود أفعاله، وراح يدور بعينيه في المكان، ثم أخيرًا،

رفع عينيه نحو رمضان وقد اتخذ قراره أن يلحق به..

لكن رمضان اختفى في الظلام.

راح يصيح مناديًا رمضان، لكن صوته راح يجيبه في إلحاح..

بدأ الهلع يدب في قلبه، بينما التمع لسان برق ماطع في السماء فوق رأسه. ستمطر بلا شك، وإذا أمطرت فستتحول هذه الأطلال إلى برك آسنة يعلق فيها كالحمار الساقط في المصرف..

لا بد أن يولي الأدبار الآن..

لكن الصوت كان يقترب منه..

في البداية ظن أن إحدى الأفاعي لا زالت حية، فركع على ركبته وراح يبحث عن السنجة التي ألقاها رمضان أمامه..

telegram: @alanbyawardmsr

وصوت الفحيح يتعالى ويتضاعف حتى كاد يصم أذنه.

وعندما وجد السنجة، وعندما راح يتنفس الصعداء وعندما التف ناحية مصدر الصوت شاهرًا السنجة في يده.

عندها سقطت السنجة من يده.

وكان آخر ما رآه، هو أفعى عملاقة في طول امرأة شابة يافعة، تخرج لسانها المشقوق في جشع من بين فك مثلث حاد الأنياب..

كان هذا آخر ما رآه بالفعل.

لأن الحية فاغرة الفك، كانت الآن تطبق فكيها على وجهه.

ولم يجد عامر فرصة كي يصرخ ...

لم يجد فرصة لفعل أي شيء...

سوى الموت.

* * *

(5)

التجمع الخامس - القاهرة الجديدة.

الثانية عشرة ظهرًا.

الثالث عشر من ديسمبر عام ألفين وخمسة وثلاثين.

جلس كريم على مقعده خلف المكتب الخشبي الأنيق، وراح يدق بأصابعه فوق الخشب الصناعي الناعم..

بينما أمامه جلس علي الملاح، بقامته الشبيهة بممثلي الأفلام الأجنبية..

رأس حليق، وعينان واسعتان زرقاوان، ورائحة عطر ما تفوح من جنبات جسده الممشوق..

وذقن حليقة ناعمة كأنما حلقت لتوها..

جلس يقلب في شاشة جهاز لوحي، حفر على ظهره علامة التفاحة الشهيرة.

- احنا مستنيين ايه يا اخ علام؟

- علي.. علي الملاح...

- أيوة يا أخ علي.. معلش لسه بتعود على الاسم.. المهم احنا مستنيين ايه بقى؟

دون أن يرفع عينيه عن الجهاز اللوحي، قال علي بصوته الإذاعي:

- الدكتورة.. المفروض إنها على وصول..

- الدكتورة اللي اسمها.. اسمها...

وراح يطقطق بأصابعه كي يذكره علي بالاسم..

لكن هذا الأخير تجاهله تماما، وراح يقلب في صور متعددة على شاشة الجهاز.

- أيوة اسمها ايه الدكتور؟

- لما توصل هتعرف.. بسيطة.

- مش أنت قولتلي إن اسمها هنا باين؟

- طب ما أنت فاكر اهو!

كاد كريم أن يصاب بالفالج، وتصاعد الدم إلى رأسه..

هو كريم لبيب، أكثر الناس برودًا ولا مبالاة. كريم لبيب الذي درب نفسه طوال خمس سنوات على أن يكون ذا قلب ماتت شرايينه،

وتجمد أذينه وبطينه..

لكن هذا الشبيه بـ«فن ديزل» يبدو كلوح ثلج صناعي متحرك..

ثم إن عينيه زرقاوان، وكريم لا يثق في أصحاب العيون الزرقاء..

- أيوة فين بقى الدكتورة هناء؟

- لا الدكتورة هناء اتكلفت بمهمة تانية.. وفي دكتورة تانية جاية.. بس مش أي دكتورة.

- بمعنى؟؟

للمرة الأولى، يرفع علي عينيه الزرقاوين، ويحدق ببرود في وجه كريم.

- أنت مستعجل ليه يا كريم باشا.. كلها دقيقة وهتلاقيها بتخبط على الباب ده.

- يا سلام عالدقة.. واشمعنى دقيقة يعني؟

- لأن معادها اتناشر وخمسة.. والدكتورة ما بتتأخرش على معادها أبدًا.. أصلها لسه راجعة من بريطانيا.. واتعلمت احترام المواعيد منهم.. مواعيد انجليزي يعني.

وما إن أتم عبارته، حتى صدرت دقات مكتومة على باب الحجرة، فصاح كريم بصوت جهوري:

- ادخل ياللي بتخبط...

ثم نظر إلى علي بنظرة ساخرة:

- شكلك مكشوف عنك الحجاب يا علي.

- دي ثقة في البني آدم يا باشا.

وما أن فتح الباب، حتى ظهرت على عتبته امرأة رقيقة، دقيقة الملامح، قمحية البشرة، عقصت شعرها الأسود المموج خلف رأسها، وارتدت عوينات طبية كبيرة الحجم تداري نصف وجهها.

وما أن رآها كريم حتى أفلت قلبه دقتين، ونهض من فوق مقعده..

وما أن خطت داخل الغرفة، حتى نهض علي الملاح مبتسمًا، بينما ابتسمت هي في بساطة:

- كريم باشا.. أعرفك الدكتورة.

- إيرين.. إيرين شكر الله.

واتسعت ابتسامة إيرين..

بينما كاد قلب كريم يتوقف تمامًا..

تذكر أنك حملت رواية حارس البعث حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب في خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك.

* * *

(6)

التجمع الخامس - القاهرة الجديدة.

الثانية ظهرا.

الثالث عشر من ديسمبر عام ألفين وخمسة وثلاثين.

برودة المشرحة من جديد.

كريم يقف مرتديًا ذلك الغطاء القطني المعقم فوق ثيابه، ويضع قناعًا واقيًا يغطي نصف وجهه، بينما تقف إيرين في ثياب مماثلة وقد غطت شعرها بكيس قماشي، وعلي الملاح يفحص الثياب والأحذية في ثياب مماثلة.

وأمامهم على طاولة المشرحة الباردة، يقبع جسد لشاب أبيض نحيل البشرة، عارٍ كما ولدته امه.

لكن ما رآه كريم جعله موشكًا على إفراغ معدته.

في مكان الوجه، كان كل شيء قد تشوه تمامًا، وقد تآكل نصف الوجه الأمامي كاشفًا عن عظام ناصعة، وقطع من الوجه قد تناثرت حتى...

وهنا أشاح كريم بوجهه ناحية ثلاجات الموتى ذات الأرقام المسلسلة، الشبيهة بأدراج الأرشيف، وقال:

- ايه اللي ممكن يشوه وشه بالمنظر المرعب ده؟

- الحقيقة مقدرش أقول الكلام ده دلوقتي.. لازم أفحص أماكن التمزق هنا وهنا.. وأماكن النهش هنا و...

ثم قطعت عبارتها عندما لاحظت أن كريم قد أدار وجهه بعيدًا، فارتسمت على وجهها ابتسامة ساخرة وقالت:

- أنت لسه بتخاف من الجثث؟

- اه لسه بخاف.

ثم نظر لها وقال هامسًا:

- كنتي فين يا ايرين؟

- كنت في انجلترا.. بالتحديد في مكان اسمه بريستول.. جنب الـ..

- بطلي استفزاز يا إيرين.

تنحنح علي الملاح مع ارتفاع صوت كريم، ثم رفع قطعة ملابس ممزقة بمشبك معدني، وابتعد قليلاً عن طاولة الفحص..

بينما كان كريم متحفزًا كقط سيامي، همست إيرين من بين أسنانها:

- مش وقته الكلام ده يا كريم.

- اومال امتى وقته يا إيرين.. امتى.. لما ألاقيك سافرتي تاني وسبتيني؟

- مش أنا اللي سبتك واتهمتك بالجهل وقاطعتك سنة ونص.. ودلوقتي بعد إذنك عشان أشوف شغلي.

كور كريم قبضته غضبًا، ثم لكم بها جانب فخذه، وراح يحاول التنفس حتى تهدأ عضلات بطنه المتوترة..

- أنا ما عملتش كده إلا عشان...

- إلا عشان أنت ما بتحبش تعترف إنك غلطان.. مابتحبش إلا رأيك أنت وبس.. بالمناسبة.. عايزة أعرف لقيتوه فين وازاي.

نظر لها مندهشًا، ثم شعر كأنه طفل صغير قابل مدرسته على باب الفصل، فراح يمزح معها حتى صار الآن على مقعده داخل الفصل، ولا بد أن يجيب على أسئلتها وإلا عزلته في ركن الحجرة..

صاح بصوت مختنق:

- يا علي.. يا سيد علي يا ملاح.

جاء علي من طرف الحجرة الآخر وعلى وجهه ابتسامة هادئة، وراح يقلب بعينيه على وجهيهما.

- ملخص تقرير مسرح الجريمة.

أخرج علي من جيبه بطاقة ذاكرة صغيرة، وناولها لإيرين التي لم ترفع عينيها من فوق صدر الجثة:

- ارغي يا علي.. ارغي.. كلام يا أستاذ كلام.

أعاد علي بطاقة الذاكرة إلى جيب معطفه، ثم تنحنح وراح يردد بصوته الإذاعي الرخيم:

- الجثة لذكر في أواخر الثلاثينات.. لقاها حارس أمن الوردية الصباحية.. حوالي الساعة ٦ صباحًا.. وكانت متعلقة مصلوبة بين عامودين حجر من الاكتشافات الجديدة في أبو صير.. سبب الوفاة المبدئي هو أزمة قلبية غالبًا نتيجة صدمة عصبية.

- صدمة عصبية ايه يا علي.. كل اللي في وشه ده وصدمة عصبية؟

نظر له علي في برود ثم تابع:

- ده كلام الطبيب الشرعي مش كلامي أنا...

ثم تنحنح من جديد وتابع:

- زي ما احنا شايفين مفيش بصمات.. الجثة صوابعها كلها اتحرقت وكأنها مسكت كرة نار.. بنحاول نتعرف عليه من قاعدة بيانات الـ DNA.. الغريب بقى كان ده

ثم أشار بإصبعه نحو صدر الجثة وتابع:

- ده حرق غريب.. مش معمول بحديد منصهر ولا بفورمة حرق.. غالبًا كده معمول بمكوة كابلات.

- يا نهار أسود.. ده ايه السادية دي.

نظرت إيرين نحوه مستنكرة، ولسان حالها يتعجب من ضابط في

المباحث الجنائية، وتحديدًا في وحدة الجرائم عالية الخطورة، ولا زال يندهش من رؤية جرائم سادية بسيطة مثل هذه..

- بس يا أستاذ علي.. الحرق ده شكله غريب جدًا.

- بالضبط.. عامل زي ما يكون حرف U مقلوب.. أو شبه.. شبه حدوة الحصان.

- حدوة حصان.. حدوة حص.

ابتسم كريم مقاطعًا:

- دي مش حدوة حصان يا دكاترة.. دي شبه حرف لاتيني مشهور أوي.

ثم اخرج هاتفًا محمولًا من جيبه، ثم راح يضغط بأصابعه على الشاشة، وبعد لحظات ناول الهاتف إلى إيرين.

- أوميجا.

قالتها مشدوهة وهي تقلب نظراتها بين كريم وعلي، ثم راحت تقلب نتائج البحث بأصابعها الملوثة بالفورمالين.

- حرف أوميجا اللاتيني.. Ω.

بينما أكمل كريم:

- حرف أوميجا اللاتيني.. آخر حرف في الأبجدية اللاتينية.. وهو رمز المقاومة الكهربائية.. ورمز كثافة الكون و...

قاطعته إيرين وهي لا ترفع عينيها عن شاشة المحمول:

- ورمز نهاية العالم.. المعركة البشرية الأخيرة.

تنحنح علي ونظر إلى كريم، فقال كريم معقبًا:

- بغض النظر يعني.. أوميجا الرمز الأخير في كل حاجة.

telegram: @alanbyawardmsr

- بس يا ترى يا كريم باشا.. أيه معنى ده.. تنظيم إرهابي مثلًا أو عيال أناركية بيعلنوا عن نفسهم.

طقطق كريم بشفتيه مبديًا عدم استحسانه، وقال متابعًا وهو يتفحص الحرق في صدر الجثة:

- العيال دي شغلها بيبقى بطريقة مختلفة.. مش جثة مصلوبة ومتعلقة وحرق في الصدر.

- يبقى أكيد تنظيم ديني زي عبدة الشيطان كده.

تنحنحت إيرين مقاطعة، ثم رفعت الهاتف المحمول إلى وجه كريم وقالت:

- في معرفة قديمة عندها فكرة مختلفة شوية يا كريم باشا.. بص كده.

تناول كريم الهاتف المحمول، وقربه من وجهه متفحصًا، وقرأ وهو يشم رائحة الفورمالين العالق بالشاشة:

- تحقيق تكتبه سمر غنيم.. مش دي بنت المحامي محمود غنيم.

- بالضبط.. الصحفية اللي بتشتغل في الموقع بتاع ماهر الرفاعي...

عاد كريم يقرأ بعيون متلاحقة، بينما نظر علي الملاح في ساعته، وإيرين تراقبه بطرف عينيها، ثم أشارت له إشارة خفية كي يخرج من المشرحة إذا أراد، فخلع الأخير قفازاته، ورحل من المشرحة كأنه سجين نال إفراجه.

- كلام غريب أوي يا إيرين.. أو بالأصح كلام فاضي.. حاجة كده خليط من الخرافات والأساطير وكلام الكتب إياها.. على شوية نظرات علمية متقيفة.

ثم رفع رأسه وراح يبحث بعينيه في المشرحة:

- اومال فين الأستاذ الملاح؟

- لا مشي خلاص.. مواعيد العمل الرسمية.

- لا لا.. احنا محتاجين الحلواني.. الحلواني يا إيرين.

أشاحت بوجهها في أسى، ثم نظرت إلى الجثة وقالت في أسى:

- الحلواني خلاص.. دخل الصومعة ومش عايز يخرج.

- لازم نتصرف ونخرجه من الصومعة بتاعته دي.. احنا محتاجين الحلواني معانا ضروري.

ثم خلع قفازيه وهو يضع هاتفه المحمول في فمه:

- ان اوح اشف سمر أي ايه الجلم.

- ايه.. بتقول ايه أنت؟

رفع الهاتف المحمول من فمه وقال.

- أنا هروح اشوف سمر دي جايبة الكلام ده منين.

- اتفقنا.

ثم ألقى بالقفازات في سلة المهملات الصغيرة، ونظر إلى إيرين نظرة مطولة قالت كل شيء.

وبينما يغادر المشرحة، ويفتح الباب المعدني الثقيل، قال وهو مولٍ ظهره لإيرين:

- إيرين.

- نعم يا كريم.

التفت بطرف عينيه وقال.

- حمدا لله عالسلامة.. حقيقي حمدا لله عالسلامة.

ثم أغلق الباب المعدني العملاق خلفه.

وتنهدت إيرين.. تنهيدة كادت تخترق قلوب الموتى النائمين نومتهم الأخيرة.. تنهدت بحرارة.

وهي لا تزال تنظر إلى الباب.

(7)

المعادي - القاهرة.

التاسعة مساء.

الثالث عشر من ديسمبر عام ألفين وخمسة وثلاثين.

جلس سيف على مقعده الوثير مرتديًا ثيابًا بسيطة، وهو ينفث دخان سيجارته في هواء الغرفة..

بينما على الجانب الآخر من الغرفة، جلس اللواء حسني، وبين أصابعه سيجارته المحلية الطويلة، وهو يجول بعينيه في جنبات الغرفة.

ثم تنهد وقال وهو ينظر إلى ركن قصي في الغرفة:

- الله يرحمك يا إبراهيم بيه.. الفاتحة على روحك.

ثم وضع سيجارته في المنفضة الزجاجية، ورفع كفيه قارئًا الفاتحة في سكون.

بينما عينا سيف تنظران إلى نفس الركن القصي..وتتذكران.

منذ خمسة وعشرين، كان اللواء إبراهيم عبد الفتاح يجلس هنا..

ينظر إلى رقعة الشطرنج في هدوء، ودخان السيجارة يتصاعد بجوار وجهه القسيم حاد النظرات..

عويناته المستديرة الصغيرة تنحسر عن أنفه الكبير وثلاثة أصابع

من يده اليسرى تحمل رأسه الممتلئ وكأنهم أطلس حاملًا الكرة الأرضية..

يتنحنح بصوت مرتفع، ثم يرشف من فنجان القهوة الأبيض مكسور الأذن، ويتلذذ بمذاق البن الأسود كثير التحويج..

وتمتد يده اليمنى نحو ذلك الحصان الحائر فوق رقعة الشطرنج، وتحركه بحركة حاسمة..

بينما على الجانب الآخر كان الملازم سيف الدين يجلس بجسده الذي بدأ رحلة الترهل، قلقًا متوترًا، كأنه قط سيامي يتربص بعصفور حائر..

- ايه يا سيادة اللوا الحركة دي.. أنت كده هتضحي بالوزير!

فيجيبه بصوته الوقور الهادئ:

- العب وأنت ساكت يا ولد.. ثم إنه وزيري أنا مش وزيرك أنت.

يضحك سيف تلك الضحكة التي تختلط فيها السخرية بالجذل بالفرحة، ثم يمد يده نحو الطابية السوداء، كي يجهز على وزير سيادة اللواء.

لكنّ صوتًا حاسمًا يدوي في رأس سيف:

- ده فخ يا سيف.. فخ.. سيادة اللواء بيجرك لفخ.

تقف يده في الهواء وتحتبس أنفاسه كلما أوقف المخرج كادرًا

سينمائيًا.. وتتعالى ضحكات اللواء إبراهيم.

- ايه.. وقفت ليه.. ما تخلص عالوزير بالطابية ...

- ايه.. لا أنا محتاج افكر في الموضوع أكتر.

هنا يعود اللواء إبراهيم بظهره في المقعدالأسيوطي الوثير ويرشف من قهوته من جديد.

ثم ينظر ناحية الباب نصف المفتوح، ويصيح بصوت مرتفع.

- محمد.. عيب كده.. سيبه يكسب بمجهوده..

ثم يضحك بصوت مرتفع، ويقرب رأسه من رأس سيف المفكر هامسًا:

- أصل أنا عارف هو بيعمل ايه.. وعارف كمان يقدر يعمل ايه.. مش أنت لوحدك يا سيف اللي عندك عقل كبير بيعرف يفهم.

يبتسم سيف، ويرفع عينه ناحية وجه أبيه القسيم، ثم يردد:

يا ريتها جت على محمد بس.. يا ريتها.

صوت سعلة اللواء حسني تخرجه من قلب فيض ذكرياته، ثم صوت القداحة الصغيرة تشعل سيجارة جديدة..

- الله يرحمه.. كان راجل عنده نظرة ثاقبة وبيعرفينقي رجالته كويس.

- طبعًا يا سيادة اللوا.. مش نقاك أنت.

قالها سيف ساخرًا، لكن حسني تجاهله وأكمل:

- عشان كده أنا جاي ومعايا كلمتين عايز أوصلهم لصاحبنا.

- طب ما أنا عندي اقتراح تاني أحسن من ده...

ثم نظر له سيف تلك النظرة الشبيهة بنظرات محققي الأفلام الرخيصة:

- ما تقولهمله أنت بنفسك.

ضحكة مصطفى تدوي في رأس سيف..

وصوته المتلاعب يدوي في ممرات عقله.

- أداه أوفر أوي أوي.. يا أخي أنت كل ما بتكبر كل ما عقلك بيخف.

- ششششش.. بس.

ينظر اللواء حسني له مشدوهًا، فيتنحنح سيف وهويشيح بيده مبعدًا ذبابًا وهميًا في الهواء:

- بس بقى.. الدبان بقى سخيف والله ويضايق.

هز اللواء حسني رأسه الأشيب بلا مبالاة:

- أقولهمله بنفسي ازاي.. أنت تعرف طريقه؟

تعالت ضحكات سيف، ومعها ضحكات مصطفى الطفولية في رأسه، ثم هدأت فورة ضحكه، وهو ينهض من مقعده متثاقلًا كديناصور الأفلام القديمة، ويمشي في الممر تاركًا اللواء حسني

يأكل فلتر سيجارته من فرط التوتر..

وبعد دقائق، عاد سيف إلى الغرفة وفي يده زجاجة ماء، وكوب بلاستيكي صغير وضعه أمام اللواء حسني وهو يقول:

- معلش أصل الكوبايات القزاز ممنوعة في البيت هنا.. أصلهم بيقولوا إن عندي ميول انتحارية.. برغم يعني إن عندي سكاكين وشوك عادي.

ثم صب بعض الماء في الكوب، وتابع:

- اشرب يا سيادة اللواء.. شوية مية تبل بيهم ريقك.. وعلى ما تخلص.. هيكون قدامك هنا.

شرب حسني الماء بنهم، وما أن أنهى كوبه البلاستيكي، حتى سمع الصوت الواثق العميق يرن في أذنه:

- ازيك يا سيادة اللواء؟

ترك الكوب يسقط من يده، ونهض منتفضًا، وهو يلتفت إلى مصدر الصوت..

وأمام عينيه الرماديتين، كان يقف الآن..

قامته الطويلة الفارعة، ووجهه الأسمر الذي لوحته شمس الصحراء، وعيناه السوداوان العميقتان..

عاقدًا كفيه خلف ظهره، يبتسم ابتسامته الهادئة التي ما أن

تلاحظها حتى تختفي.. محمد حارس.. بشحمه ولحمه..

- أنت فعلًا.. ده أنت.. محمد حارس.

ابتسامته تظهر وتختفي من جديد، وكفه المعروقة طويلة الأصابع تمتد من خلف ظهره نحو حسني، مصافحا إياه..

بينما صوت مصطفى يدوي في رأس ميف:

- هو كل الناس هنا أداءها اوفر كده ليه!

إلا أن المصافحة اكتملت، وما إن أعاد حارس كفه خلف ظهره، مال برقبته الطويلة ناحية ميف، وابتسم وهو يقول بهدوء:

- ازيك يا مصطفى.. اتمنى إني ما أكونش أوفر أنا كمان.

telegram: @alanbyawardmsr

اتسعت ابتسامة ميف الساخرة، بينما يدوي صوت مصطفى الوهمي في جنبات عقله.

- ايه ده هو بيسمعني ؟ ازاي؟

- بيسمعك.. وعارفك كويس أوي أوي.

بينما راح اللواء حسني يقلب عينيه بين ميف وبين جنبات الغرفة، ثم قال:

- مصطفى مين.. هو في حد تاني معانا في الأوضة؟

- ما تشغلش دماغك أنت يا سيادة اللواء.. اتفضل ارتاح...

جلس اللواء حسني فوق مقعده، بينما وقف حارس مستندًا على

باب الحجرة، وقال بهدوء:

- ودلوقتي.. أنا قدامك أهو.. عايز تقولي ايه؟

استجمع اللواء حسني شتات نفسه، ثم أخرج من جيبه صورتين فوتوغرافيتين، طُبعتا بطابعة ليزر على ورق أبيض ناصع، وناولهما لحارس الواقف بجواره..

ففض حارس ثنيات الصور وراح يتفحصهما بعناية، ثم انعقد حاجباه الكثيفان، ونظر إلى وجه اللواء حسني في حدة، ثم عاد يتفحص الصور من جديد..

- الكلام ده حصل امتى؟

- من يومين.. تحديدًا فجر يوم ١٠ ديسمبر وفجر النهاردة.

- والاتنين بنفس الطريقة؟

- وش منهوش متهتك.. وعلامة الحدوة دي فوق الصدر.

تذكر أنك حملت رواية حارس البعث حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب في خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك.

ناول حارس الصور لسيف، وجلس بجواره مواجهًا اللواء حسني، الذي أشعل سيجارته الرابعة في نصف ساعة:

- الغريب هو مواقع الجرايم.. وده اللي خلاني أدور عليك.

نظر له حارس في اهتمام، وكأنه يطلب منه أن يكمل، فقال:

- أبو صير في البدرشين.. جنب الحفريات الجديدة.. وتمي الأمديد عند حفريات تل الربع.

انعقد حاجبا حارس الكثيفان، وقال هامسًا وهو يضغط على أسنانه:

- بر أوزير.. وبيدت.

- دي تعاويذ ولا أسامي شياطين.

قالها اللواء حسني وهو يميل بجسده نحو حارس، فقال الأخير:

- دي مواقع مدينتين كان فيهم آثار لأوزير..

- أوزير ده اللي هو أوزوريس يعني؟

تجاهله حارس وهو يعيد النظر إلى الصور بينما قال سيف هامسًا:

- هو ما بيحبش الأسامي اليونانية.. عمره ما استخدمها وهو بيوصفهم.

- ما علينا من الأسامي.. ايه رأيك يا حارس؟

رفع حارس عينيه من فوق الصور وقال في هدوء:

- رأيي إنه للأسف.. المعركة قربت جدًا.. ولازم نبدأ نستعد.

- معركة.. معركة ايه.. فهمني أنت تقصد ايه!

نظر حارس إلى الصور من جديد، وأشار بأصبعه الأسمر الطويل إلى صدر إحدى الجثث قائلًا:

- الرسالة دي رسالة استدعاء عشان أظهر.. عشان نصفي حساب قديم جدًا.. حساب عمره أطول من الزمن نفسه.. أنا بقالي خمس سنين في أثرهم.. لكن الظاهر إن المرة دي قرروا إن اللعب يبقى عالمكشوف.

- طب وانت ناوي تعمل ايه؟

نظر حارس إلى سيف في هدوء، ثم قال:

- ناوي أنزل أعمل جولة ميدانية أنا وسيف.. عشان احنا محتاجين شوية مساعدات.

- مساعدات من مين؟

نظر له حارس وعلى وجهه تلك الابتسامة الهادئة، ثم قال في هدوء:

- من المسافر.. المسافر نفسه.

* * *

(8)

غابة إتريك - مملكة أسكتلندا.

الثامنة صباحًا.

الخامس من أغسطس عام ألف ومائتين وسبعة وتسعين.

أشجار مرتفعة متشابكة إلى عنان السماء كقامات العماليق، والشمس لا تجسر حتى على إرسال أشعتها القوية خلال شعر العماليق الأخضر المتشابك، ورائحة الصيف المرصعة برائحة الندى الملاصق لجذوع الأشجار الخشبية المنتصبة هي سيدة الروائح في قلب هذا التشابك المتناغم..

وخلف جذع شجرة سنديان ضخمة، وفوق حشائش مزدهرة متمردة على كل تنسيق، خرق من القماش التي ملأتها قذارة طين المستنقعات وقطرات من دم طازج متفجر تستلقي في محاولة منها لالتقاط أنفاس عز عليها صاحبها بها، وقامة مستقيمة منتصبة كقامات الأشجار تلقي بنفسها فوق الحشائش عارية مما يستر الجسد ويغلفه، وشعر اختلطت منابته بقطرات الندى، وطين راكد من ألف مستنقع، وعينان حازمتان زرقاوان تعبثان بأشعة الشمس التي حاولت التلصص من بين أغصان العماليق..

ووليام لا ينام.

وليام لا يغلق عينيه أبدًا منذ ثلاثة أشهر وخمسة أيام، وليام لا يلقي بالًا للنوم أو للطين الذي استوطن منابت شعره الثائر ولا للدم

الذي التصق بمنحنيات خرقه البالية التي تستر جسده المتفرد بقوة خمسة رجال كما تقول عنه الإشاعات..

وليام لا يهاب أحدًا، لا يهاب إدوارد الأول على عرشه في يورك، ولا يهاب النبلاء الملتصقين بكراسيهم الخشبية الفارين إلى أقدام إدوارد الأول طالبين الرضا، قانعين بفتات يلقيه لهم فوق مائدته العفنة فيهرعوا إليه كدجاجات مذعورة..

وليام لا يهاب حتى ندرة النوم.

وليام لا يهاب سوى الخيانة!!

ثلاثة أشهر منذ أن غزا صيف أسكتلندا الرطب صفوف جيشه الصغير وهو لا يرى سوى تخاذل وقلة حيلة وقلة إمدادات، واختباء بين أحضان أشجار السنديان والبلوط العجوز، وهجمات صغيرة لا تصنع فارقًا إلا مع العجائز الملقين فوق ظهورهم يرددون أساطير عن وليام والاس الذي قرر أخيرًا أن يكون غولًا خرافيًا يؤرق مضاجع إدوارد الأول في فراشه الوثير..

كلهم لا يعرفون الحقيقة عن وليام..

كلهم يظنونه شبحًا أو غولًا أو ذئبًا بشريًا يعقر الرقاب وينهش اللحم الحي ثم يختفي داخل الرماح العملاقة في إتريك..

إتريك التي أصبحت أحن على قلبه وروحه المضطربين من صدر أمه!

كلهم لا يرون ما بداخله من ثورة ولا ما بداخله من غضب، كلهم لا يحلمون بذلك اليوم الذي تصبح فيه المملكة مملكة ملك شعبها، لا ملك إدوارد الأول ذي الساق الطويلة ووريثه المخنث..

ينفر والاس من مكانه ويقفز واقفًا وخنجره المصنوع من صلب صقله بيده رابضًا بين أصابعه الجافة، إن البقاء في الغابات بين الضواري يورث المرء حواسًا قوية متحفزة..

إن صوتًا واحدًا فوق الحشائش ولو لجرذ بريء جائع قد يحفز وليام على القتل..

ثلاثة أشهر وخمسة أيام بلا نوم تجعلك متحفزًالقتل أبيك حتى لو فكر أن يمر من جوارك فوق الحشائش!

ينتصب وليام كشجرة سنديان عجوز وقدماه العملاقتان تتشبثان بالحشائش الطرية بفعل ندى الصباح، تضيق عيناه الزرقاوان مفسحة مجالًا لأذنيه لتلتقطا حركة خفيفة فوق الحشائش، حركة لو ظهر صاحبها الآن لندم على أنه تحرك بجوار مرقد والاس الرهيب..

الصوت من جديد، ووليام يزداد تحفزًا وعدوانيةواستعدادًا للانقضاض..

تحدثه نفسه المضطربة بأنه إن مات الآن فليمت واقفًا فوق قدميه لا راكعًا على ركبتيه اللتين أرهقتهما كثرة الرطوبة بين جنبات الغابة المتشابكة.

- اهدأ يا والاس.. لا أبتغي بك شرًا.

صوت واثق رخيم عميق كصوت دب راض عن فريسته بعد التهامها، يأتي من كل مكان ومن لا مكان، وقدما وليام تزدادان تشبثا بالحشائش.

- اهدأ.. لو أردت قتلك لكنت لا زلت ممدًا فوق الحشائش عاريًا إلا من دمائك الطازجة.

- ومن تكون بحق السماء؟

قالها ضعيفة قلقة فندم على قولها..

لا يصح أن تخرج كلمات كهذه من فم والاس، لا يصح أن يرى أي منهم ما في مكنونه من ضعف وقلة حيلة..

ولكن من يكون هو؟!

- أنا هنا كي أساعدك.. فقط أعد خنجرك إلى غطائه وأعد جسدك إلى ردائه.. والإذن لي بالظهور يا سيد أسكتلندا.

الصوت لا سخرية في كلماته ولا في حروفه، واللغة أسكتلندية لا خطأ فيها ولا نبرة أجنبية.

من هو؟؟ أحد النبلاء الساخطين أم أحد الاتباع الهزيلين عديمي المنفعة.

لا يا وليام، هذا الصوت لا يخرج من نبيل مرتعد تراكمت الشحوم على حنجرته اللعينة ولا من مزارع هزيل أفقدته السخرة صحته

وحنجرته البائسة..

يرفع وليام أسماله فوق جسده وهو يتذكر أيامًا كان ينام فيها متدثرًا بفراء دببة الشمال الناعم، المسلوخ عن أجسامهم الضخمة، المدبوغ على ضفاف بحر الشمال العاتي.

يتذكر ليالي كان فيها ميدًا لـ(الديرمل) قبل أن يسطع نجم غضبه وتخترق شهرته الوحشية أركان أسكتلندا الأربع قبل أن تصل إلى مخدع الساق الطويلة وتقلق منامه ومنام ولي عهده ونبلائه الملعونين..

هنا فقط يبرز من خلف الأشجار..

قامة فارعة الطول، مدثرة برداء أسود حالك وغطاء رأس لا يظهر من الوجه إلا كما تظهر الشمس من بين أغصان الغابة..

ووالاس لا يزال قابضًا على خنجره حتى أصبح مقبضه جزءًا من قبضته القاسية.

- اكشف عن غطائك وإلا لا أمان لك.

- وهل طلبت منك الأمان يا ابن الشمال؟

- إذن فلا أمان لك عندي ولا أمن.

- إن الأمان لا يُمنح من معدومه يا والاس...

كلام قاس ولكنه صحيح..

هو مجرد بقرة لا تملك من أمانها شيئًا ولا تستند إلا إلى جيشها الصغير الحانق الغاضب.. لطالما سأل نفسه عن سبب يمنحه لهذه العصابة، ليبرر به بطشه وكثرة إراقته للدماء وحرقه لكل ما يقابله..

لم يخرج من إتريك يومًا إلا وقد حرق وأراق كل ماقابله، حتى يعود للغابة طالبًا أمانها.

- لكني سوف أريك ما تشتاق نفسك أن تراه.. فتكن وتهدأ إلى ما هي مقبلة عليه.

ثم رفع الشبح أغطيته.. وجه أسمر كأنما نحت في قالب من طين، ولحيةمنمقة على هيئة تشبه حدوة الحصان، تحت الفم المضموم الصامت، وعينان بلا لون لا تعرف إذا كانا موجودين أو أنك تتوهم وجودهما.

- من أنت بحق السماء؟؟ وأي ريح قذفتك إلى هنا؟

- الأمطار لا تسقط دفعة واحدة يا والاس.. فلا تستعجل الإجابات...

ثم اقترب الشبح المتشح بالسواد وقال:

- جئتك من خلف البحر المالح بسفن لا تستقر في موانئ.. جئتك كي تضع غضبك العارم في مساره الصحيح.

- وما تعرف أنت عن غضبي وعن سخطي أيها الغريب الأسمر.. ما تعرف أنت عن دماء تسيل أو أرواح تزهق حتى تصبح الأرض ملكًا لأصحابها.

- وما تعرفه أنت يا والاس؟ ما تعرفه غير حرق القرى ونبح الرجال وسبي النساء؟

عينا وليام الزرقاوان تجحظان حتى صار بؤبؤاهما في حجم كرتي نار وقبضته تعود لتلتحم مع خنجره الحاد في وقفة دب غاضب يوشك على الانقضاض.

والشبح يكمل كلماته الواثقة العميقة.

- هل تظن أن حرقك لـ(أنارك) ونبح رجالها قد يجعل منك بطلًا محرِرًا.. إن الدب يحطم أوكار الذئاب..فهل تجعل منه الحملان بطلًا؟

- كان حرقها عملًا صحيحا لا جدال فيه...

- هذا إن كتبت أنت التاريخ يا والاس.. إن التاريخ يكتبه المنتصرون المظفرون بالغنائم.. وأنت لن تكون سوى زعيم عصابة.. سفاك للدماء يا صديقي.

زمجر والاس غاضبًا وازداد تحفزًا.

- الصبر أوشك على النفاد ورجالي في كل مكان ينتظرون صرختي ليمزقوك إربا.. حتى وإن قتلتني فلن تخرج منها حيًا.

شبح ابتسامة ساخرة ظهر على وجه الغريب، وعيناه تلمعان في أشعة الشمس الشاحبة التي تتسرب من فروع الأشجار.

- أنت تريد أن يحكم الناس أرضهم...

- هذه غايتي وما أصبو إليه.

- وأنا أريد ذلك يا عزيزي الغاضب.. فقط أنا أعرف كيف تفعل ذلك بينما لا تعرف أنت.

حاجبا وليام ينعقدان، الآن بدأت خلايا ماكن رأسه تعمل وتمنحه بعض الإجابات، قطرات من الأمطار بدأت تنهمر فوق صحراء عقله القاحلة.

- وكيف تعرف ما ينبغي فعله أيها الغريب؟

- هذا ما سوف تفعله عندما أعلمك إياه أيها القائد.. فقط ستقطع وعدًا لا حل منه ولا مناص...

- وأي وعد هذا؟

اقترب الغريب حتى كادت عيناه تصدمان بعينوليام المضطربة وحاجبيه الملتقيين في نقطة ما فوق جبينه الواسع.

- سوف تقطع وعدًا بألا تعصى.. منذ أن تصبح منا فأنت منا.. لن تكون يومًا إلا منا ولن تكون يومًا لغيرنا.

- أنت لا تعرف والاس أيها الغريب.. إن والاس لا يتبع أحدًا ولا يدخل أقفاص أحد.

الصوت الواثق العميق يغزو نفسه المضطربة:

- ستقطع الوعد يا والاس.. أنا أرى ما بداخل روحك المضطربة ونفسك الجامحة.. أنت تريد هذه الأرض لنسلك ونسل أجدادك

وأعمامك وأخوالك.. وأنا كذلك.. أنت تعرف أنك لن تصل إلى ما تريد بغير مشورتي.. وأنا أعرف ذلك.. لذا سنقطع الوعد كي تصبح منا...

حروف كلماته، وصوته الرخيم العميق القادم من ألف ألف بئر، وعيناه التي لا يعرف لها وليام لونًا ولا يذكر إن كان قد رأى مثلها في بلاده الباردة، وثقة الغريب التي لا يعرف كيف جاء بها إلى عرين الدب بلا خوف..

- تبدو واثقا أيها الغريب.. لكن الاختيار لي.. والأسد لا يمنح حريته لأحد.

- إن الأبقار لا تمنح لبنًا بغير عشب يا فتى الشمال. امنحني حرية اختيارك.. أمنحك السبيل إلى حرية أرضك.

صوت عميق يأتي من داخل روح وليام، ورؤى جيشه الصغير المنسحب من لانارك مثقلًا بالجراح وبالدخان، وأعدائه المتربصين، وجيش الساق الطويلة يتجمع فوق سهول يورك، ونبلاء ملاعين يقتتلون على كسرات مائدة يورك ويتقاسمون فيما بينهم عطايا إدوارد الأول ورؤوسهم تنحني في ذل، ومزارعين لا يعرفون من الأرض إلا طينًا ينامون فوقه أو تحته، وقائد طريد يختبئ بين ثنايا الجبال وخلف أشجار السنديان والبلوط.. كل هذا جعله يرفع رأسه نحو عيون الغريب.. يرفعها ويومئ بها في انصياع.. وهو يعرف أنه سيقطع وعدًا على نفسه. وعد لن يخلفه أبدًا!!

* * * * *

الآن هو اليوم.

وهذه هي الساعة.

انظر إلى جيوش إدوارد المتبخترة.

رمز قيود العبودية..

فلنقاتل أو نمت..

أبقِ المغتصبين مهزومين.

واضرب بقوة.

تسقط ضرباتك كل الطغاة.

إن الحرية تكبر في كل ضربة!

فلنقاتل أو نمت..

لا يوجد حل آخر.

روبرت برنز.

الأسكتلنديون يستطيعون.

١٧٩٣ م.

تمت